كل من يعرفه من الاخيار وتفضيح نفسه لما فيه من الشناعة في الاخبار هذا معنى حقيقة التوبه لما سيل
عنها احمد بن غلبة احوالها على قلب التايب ولم ير دخل التوبة توبتان توبه الانابه وتوبه الاستجابه
فتوبه الانابه ان يتوب العبد خوفا من عقوبته وتوبه الاستجابه ان يتوب حيا من كرمه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا قريب فان التوبه والانابه والاوبه هي الرجوع الى الله تعالى الا انه ان كان الحامل
عليها خوف العقاب كانت توبه وان كان الغالب عليها الحيا من العقاب او خوف طول الحساب
كانت دون ذلك وكان صاحبها اعلى درجه وان كان الحامل عليها الحيا من رب الارباب كانت اوبه
وقد تقدم ان الاوبه توبه الانبيا والانابه توبه الاوليا والتوبه لاهل المعاصي واستدل
على ذلك قايله بقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وفي الدرجه الثانيه منيبين اليه
وفي الثالثه نعم العبد انه اواب وهذا كله قريب على حسب الاصطلاح وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في يوم اكثر من سبعين مره وفي الخبر الصحيح انه كان يسمع من النبي
صلى الله عليه في المجلس الواحد اللهم اني استغفرك واتوب اليك اكثر من سبعين مره وهذا لا يصح
ان يكون عن الذنوب فانه منزه عن كبيرها اجماعا وعن صغيرها على الصحيح وانما ذكره على جهة
العبادة وقد اطلق لفظ التوبه وقيل انما كان يستغفر ويسال التوبه لامته لكمال اهتمامه
بهم صلى الله عليه وسلم قال الامام رضي الله عنه وقيل لابي حفص لم يبغض التايب الدنيا
قال لانها دار باشر فيها الذنوب فقيل له فهي ايضا دار اكرمه الله سبحانه فيها بالتوبه فقال
انه من الذنب على يقين ومن قبول التوبه على خطر قال الشارح رضي الله عنه وبغض الدنيا
قد يكون لكلا وجد احدهما ما ذكره ان جمالها وما احتوت عليه من المشتهيات فهو الذي
اوقعه في المعاصي والبليات فقد يبغضها لذلك وقد يبغضها لاستنقاص الله تعالى لها وبغضه
اياها وذمها على لسان رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربه واخذه صلى الله عليه وسلم باذن الجدي الاسك الميت
وقوله للصحابه رضي الله عنهم من ياخذ هذا بدرهم فقالوا يا رسول الله لو كان حيا لكان عيبا
كونه اسك فكيف وهو ميت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للدنيا اهون على
الله [illegible] من هذا عليكم فمن عرف حقارة الدنيا ونقصها وقلة وزنها عند الله كرهها واقتدى بالله
تعالى في الاعراض عنها والوجه الثالث ان خيرها ممزوج بشر وفرحها ممزوج بترح وسرورها
ممزوج بحزن واكثر الناس بلا لها اشد عذابا فيها كالخليفة اذا كان عادلا احتاج الى النظر
في جميع بلاد الاسلام ومن يولى عليهم وحفظ اموالهم وابدانهم ودفع الشرور عنهم ومحاربه اعدايهم
وكفى بهذا اشتغالا حتى لا يتفرغ لنفسه واعماله الخصيصه به واكثر الناس بها راحه ازهدهم
فيها واقلهم رغبه وقوله لم يكره التايب الدنيا قال لانه باشر فيها المعاصي فذكر بعض اسباب كراهيه
فقال له انه باشر فيها التوبه يعني تيب عليه فيها فلم لا تحبها قال لانه من معصيته على يقين ومن قبول

توبته

توبته على خطر فان اراد بالقبول العفو عن الزلات التي تاب عنها توبه صحيحة فهو صحيح وان كان
عمله وان كان عمله شك هل اوقع توبته على شروطها الواجبه لها فهو على خطر وان اراد
بالقبول العفو عما مضى والثواب على توبته فهو تابع لصحتها فاذا صحت غفر الله ذنوبه من حيث
الوعد واثابه على توبته وهذا تايب شرعا قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي طرب
داود عليه السلام وما هو فيه من حلاوه الطاعه اوقعه في انفاس متصاعده وهو في حالته
الثانيه اتم منه في وقت ما ستر عليه امره قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما حكي
ان داود صلوات الله على نبينا وعليه كان رتب لاهله ولنفسه الاوراد الليل والنهار فصار
جميع الليل والنهار معمورا بالطاعه فقال في مناجاته يا رب ما من ساعه من ليل او نهار الا وعابد
من ال داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك وفي روايه اخرى عن الاحنف يرفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام قال اي رب ان بني اسرائيل يسلونك بابراهيم
واسحق ويعقوب وقال الحسن بن كعب والمقبري في هذا الحديث ان الله عز وجل قال اني ابتليتهم
فصبروا قال اي رب فانت ان ابتليتني صبرت قال اما اني ابتليتهم ولم اخبرهم باي شي ابتليهم
به ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك اني مبتليك في شهرك هذا من عامك بامراه فاحذر
لنفسك فهذا معنى طرب داود عليه السلام فاورثه ذلك حزنا طويلا وحالته مع احزانه اتم من
حالته في عبادته وذلك لكمال الاجتهاد وروية التقصير منه قال الامام رضي الله عنه وقال
توبه الكذابين على اطراف السنتهم يعني قولهم استغفر الله وسيل ابو حفص عن التوبه فقال ليس للعبد الله
في التوبه شي لان التوبه اليه لا منه قال الشارح رضي الله عنه لا اختصاص له بالتوبه وكذلك
ساير الطاعات فالله تعالى هو الموفق لها والمعين عليها وانما جرى هذا منه مجرى التاديب
لمن راه يتمسك باعماله ويرى لنفسه فيها ويتسمى حسنه ربه فاراد ان ينقله الى ان الخير كله
بيد الله فتضرع له واساله التوبه يمن عليك بها كما قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اي عاد عليهم
برحمته وتوفيقه للتوبه فتابوا قال الامام رضي الله عنه وقيل اوحى الله تعالى الى ادم عليه
السلام يا ادم ورثتك درنك التعب والنصب وورثتهم التوبه من دعاني منهم بدعوتك
لبيته كتلبيتك يا ادم احشر التايبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاوهم مستجاب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه تحريض على الحمل على التوبه وان الله سبحانه تفضل على ذريه
ادم كما تفضل عليه حين دعاه بالتوبه وساله اياها فتاب عليه وتعقد ذلك ما في اخر
الكلام من قوله واحشر التايبين مستبشرين ضاحكين لما من عليهم به من فضله واحسانه
قال الامام رضي الله عنه وقال رجل لرابعه اني قد اكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل
يتوب علي فقالت لا لو تاب عليك لتبت قال الشارح رضي الله عنه فقولها لا ليس فيها للتوبه
اذ اصحت من التايبين فان الله تعالى وعد قبول التوبه ممن تاب فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبه عن عباده

Copyright © King Saud University